فاستغلظ

القرآن ولغة العرب المعروفة الا بمعنى واحد قال تعالى فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه وقال
واستوت على الجودي وقال لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وقد
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال بسم الله فلما استوى على
ظهرها قال الحمد لله وقال ابن عمر اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج لما استوى على
بعيره وهذا المعنى يتضمن شيئين علوه على ما استوى عليه واعتداله ايضا فلا يسمون
المائل على الشيء مستويا عليه ومن حديث الخليل بن احمد لما قال استووا وقوله

ثم استوى بشر على العراق — من غير سيف ودم مهراق

هو من هذا الباب فان المراد به بشر بن مروان واستواؤه عليها اي على كرسي ملكها لم يرد
بذلك مجرد الاستيلاء بل استواء منه عليها اذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة
قد استوى ايضا على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ولكان عمر بن الخطاب قد
استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ولكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه ومعلوم انه لم يوجد في كلامهم استعمال
الاستواء في شيء من هذا وانما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد فانه مستو على سرير ملكه
كما يقال جلس فلان على السرير وقعد على التخت ومنه قوله ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا وقوله اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها
عرش عظيم وقول الزمخشري وغيره استوى على كذا بمعنى ملك دعوى مجردة
فليس لها شاهد في كلام العرب ولو قدر ذلك لكان بهذا المعنى باطلا في استواء
الله على العرش لانه اخبر انه خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
وقد اخبر ان العرش كان موجودا قبل خلق السموات والارض كما دل على ذلك الكتاب
والسنة وحينئذ فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه فكيف يكون الاستواء
عليه متاخرا عن خلق السموات والارض وايضا فهو مالك لكل شيء مستول
عليه لا يخص العرش بالاستواء وليس هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله
رب العرش فانه قد يخص لعظمته ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال
رب العرش ورب كل شيء واما الاستواء المختص بالعرش فلا يقال استوى على
العرش وعلى كل شيء ولا استعمل ذلك احد من المسلمين في كل شيء ولا وجد في

كتاب

٣٦

كتاب ولا سنة كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة وفي كل شيء عامة وكذلك
لفظ الخلق ونحوه من الالفاظ التي تخص وتعم كقوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تضاف الى غيره
لا خصوصا ولا عموما وهذا مبسوط في موضع اخر وانما الغرض
بيان صواب كلام السلف في قولهم الاستواء معلوم بخلاف من جعل هذا اللفظ
له بضعة عشر معنى كما ذكر ذلك ابن عربي المعافري ومما يبين هذا ان سبب نزول هذه الآية
كان قدوم نصارى نجران ومناظرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في امر المسيح كما ذكر ذلك
اهل التفسير واهل السير وهو من المشهور بل المتواتر فانه من المتواتر ان نصارى
نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى المباهلة المذكورة في سورة آل عمران فاقروا
بالجزية ولم يباهلوه وصدر آل عمران نزل بسبب ما جرى ولهذا عامتها في امر

بيان الالهة

المسيح وقد ذكروا انهم احتجوا بما في القرآن من لفظ انا ونحن ونحو ذلك على ان الالهة ثلاثة فاتبعوا
المتشابه وتركوا المحكم الذي في القرآن من ان الاله واحد ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله
فانهم قصدوا بذلك الفتنة وهي فتنة القلوب بالكفر وابتغاء تأويله لفظ انا ونحن
وما يعلم تأويل هذه الاسماء الا الله لان هذه الاسماء انما تقال للواحد الذي له اعوان
اما ان يكونوا شركاء له واما ان يكونوا مماليك له ولهذا صارت متشابهة فان الذي
معه شريك يقول فعلنا نحن كذا وانا نفعل نحن كذا وهذا ممتنع في حق الله تعالى والذي
له مماليك ومطيعون يطيعونه كالملك يقول فعلنا كذا اي انا فعلت باهل ملكي وملكي
وكل ما سوى الله مخلوق له مملوك له وهو سبحانه يدبر امر العالم بنفسه وملائكته التي هي
رسله في خلقه وامره وهو سبحانه احق من قال انا ونحن بهذا الاعتبار فان ما سواه ليس
له ملك تام ولا امر مطاع طاعة تامة فهو المستحق ان يقول انا ونحن والملوك لهم شبه
بهذا فصار فيه ايضا من المتشابه معنى اخر ولكن الذي ثبت لله من هذا الاختصاص
لا يماثله فيه شيء وتأويل ذلك معرفة ملائكته وصفاتهم واقدارهم وكيف يدبر بهم امر السماء
والارض وقد قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فهذا التأويل لهذا
المتشابه لا يعلمه الا هو وان علمنا تفسيره ومعناه لكن لم نعلم تأويله الواقع

Copyright © King Saud University